تمهيـد

الموقف العام بعد غزوة أحد:

يقول الشيخ عرجون: «كانت غزوة أحد بأحداثها وأزماتها وشدائدها درسًا أفاد منها المجتمع المسلم كثيرًا من العبر في تصاريف الحياة وتقلباتها.

لقد فتحت محنة أحد أمام المجتمع المسلم الطريق، ليتعرف موقف المتربصين به دون إقدام على محاربته لما أصابهم من الدهش المذهل حين سمعوا دوي نصر بدر الذي ملأ قلوبهم رهبًا ورعبًا وهلعًا.

وكانت أخبار هؤلاء وهؤلاء ترد متوالية على رسول الله ﷺ، فيأخذ لكل حدث أهبته، وتتابعت البعوث والسرايا المستكشفة تجوب مواقع الأحداث، وكانت محنة (أُحُد) صيقلًا أذاب صدأ هزيمتها عن صدور أصحاب رسول الله ﷺ، فجعلت منهم بطولات فدائية لا ترهب الموت، وجعلت منهم قيادات سياسية تحسن الرأي وتحكم الفكرة، وجعلت منهم قيادات عسكرية تدير المعارك القتالية بتفكير مجرب يعرف المخارج من أزمات المضايق، ويعرف المداخل التي يؤخذ منها العدو.

ومن ثم تتابعت البعوث والسرايا والغزوات، ووقف أصحاب رسول الله ﷺ متأهبين لكل حادث ونازلة، لا ينامون ولا ينيمون، ولا يغفلون عن بادرة يحسون نبأتها إلا أسرعوا إليها خفافًا وثقالًا يخوضون لججها، ويقتحمون سعير أوارها بنفوس رضية سمحة بالفداء وحب الشهادة.

ولم يكد يمضي يوم منذ محنة (أحد) دون أن يكون فيه بعث فدائي محارب أو سرية ترهب وترعب، أو إعداد لغزوة تقاتل فيها كتائب الإسلام فتنتصر. [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٤/ ١٩-٢٠**].

يقول د/ فيض الله: «لقد استطاع الرسول ﷺ أن يخفف مرارة الانكسار الذي لحق بالمسلمين في أحد، واستطاع أيضًا أن يسترد ـ ولو إلى حَدٍّ ما ـ هيبة المسلمين ومركزهم في المدينة، بعد الذي عاينه من شماتة اليهود، واستهزاء المنافقين، وذلك في غزوة حمراء الأسد.

ومع ذلك، فإن انتصار المشركين في أحد، أطمع الخصوم الألداء، من الأعراب والمشركين، وساد الشعور بإمكان مناوشتهم والتغلب عليهم، فما أقواس النصر التي ارتفعت لهم في بدر إلا من قبيل المصادفة، وقد حطمتها موقعة أحد.

ومن ثَمَّ اتجهت أنظار كثيرين من الأعراب إلى غزو المدينة ذاتها، ومقاومة المسلمين ـ في كلب ـ حيث كانوا، واستئصال شأفتهم، وكسر شوكتهم. [**صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١٤٤**].

الأثر السيئ بعد معركة أحد:

يقول أ/ باشميل: «إنه بالرغم من الهزة العنيفة التي تعرض لها المسلمون بعد انتكاستهم العسكرية في معركة أحد، فإنهم ظلوا مسيطرين على الموقف سيطرة تامة.

لا سيما بعد الحركات العسكرية الناجحة التي قام بها جيش المدينة ـ بعد معركة أحد.

إن أهم الأحداث السياسية للمسلمين بعد معركة أحد، هي أن مركزهم في منطقة يثرب خاصة والجزيرة العربية عامة، قد تأثر تأثرًا ملموسًا كنتيجة لانتكاستهم العسكرية الموجعة في موقعة أحد.

فقد انخفضت نسبة هيبتهم في نفوس القبائل العربية الباقية على الوثنية، وفي نفوس اليهود والمنافقين الذين كانوا قد امتلأت نفوسهم رُعبًا وفزعًا من المسلمين بعد انتصارهم الساحق في معركة بدر الكبرى الشهيرة.

ولم تخفَ على المسلمين هذه الحقيقة المرة، فصار المسلمون يبذلون قصارى جهدهم عسكريًّا وسياسيًّا؛ ليثبتوا عمليًّا لهؤلاء الأعداء بأنهم مخطؤون جدًّا، إذ يظنون أن المسلمين ـ بعد معركة أُحُد ـ من الضعف بحيث يقدرون على النيل منهم.

وليثبتوا لهم أنهم ـ أي المسلمون ـ قادرون على سحق كل من تحدثه نفسه بالاعتداء عليهم، قاموا بحركات عسكرية سريعة ناجحة أنزلوا فيها بالأعداء ضربات زلزلت معنوياتهم زلزالًا شديدًا، وجعلتهم يصححون مفاهيمهم الخاطئة عن مدى قوة المسلمين العسكرية وترابطهم السياسي والمعنوي، وخاصة المعسكر القرشي واليهودي الذين شهدوا (قبل غيرهم) أول حركة عسكرية بارعة رائعة ناجحة قام بها المسلمون في حمراء الأسد؛ ليثبتوا للأعداء أن وجودهم العسكري والسياسي والعقائدي لا يزال على ما كان عليه من القوة والمتانة، وأن أحداث الانتكاسة في موقعة أحد لم يكن لها أي تأثير على هذا الوجود.

وهكذا نجح النبي ﷺ في هذه الحملة العسكرية السريعة (حملة حمراء الأسد) نجاحًا باهرًا فسجل نصرًا عسكريًّا سريعًا عظيمًا، ظفر المسلمون على أثره بنصرٍ سياسي أعظم في المحيط اليثربي خاصة، وفي الجزيرة العربية عامة، حيث صحح هذا النصر النظرة الخاطئة التي كان اليهود والمنافقون ينظرونها إلى الجيش الإسلامي بعد انتكاسته في معركة أحد.

فقد تأكد لدى اليهود والمنافقين في المدينة، خاصة بعد نجاح المسلمين في حملة حمراء الأسد أن هؤلاء المسلمين هم من القوة والصلابة بحيث يستحيل على أية قوة ـ وخاصة في يثرب ـ القيام ضدهم بأي عمل عسكري مهما كان نوعه.

وهذا عكس ما كان يعتقد هؤلاء الأعداء؛ ولهذا فإنهم أصيبوا بالدهشة والذهول عندما بلغهم أن جيش مكة ـ الذي ظنوه انتصر على المسلمين في أُحُد ـ قد نكل عن المعركة وفر هاربًا أمام جيش المدينة الذي اعتقدوا أنه قد تحطم عند سفوح جبل أحد، رأوا هذا الجيش يعود إلى المدينة مرفوع الرأس، ولسان حاله يقول لهؤلاء اليهود المتربصين: **مِنَ الأصلح لكم أن تلتزموا الهدوء، فإن أية حركة تأتي من ناحيتكم فإن مصيرها لن يكون إلا السحق الكامل.**

وفعلًا، فإن اليهود وأنصارهم السريين (المنافقين) قد أعادوا النظر في مخططهم ولم يتسرعوا في تنفيذ هذا المخطط فالتزموا الهدوء، والسبب المباشر في ذلك كله هو نجاح النبي ﷺ في حملة حمراء الأسد الجريئة تلك الحملة التي أعادت للجيش الإسلامي هيبته وجعلته يعود سيدًا للموقف في يثرب كما كان دون منازع، بالرغم من الخسائر الباهظة التي تعرض لها ـ في الرجال ـ في معركة أحد.

الحركات العسكرية ضد الأعراب:

وبينما كان الرسول ﷺ يوطد دعائم الأمن والاستقرار في منطقة يثرب، كانت قبائل العرب الأخرى في منطقة الحجاز ونجد ترسم مخططاتها وتشرع في تجمعاتها للإغارة على المدينة وضرب المسلمين فيها، مغتنمين فرصة أثر الضربة الموجعة التي نزلت بالمسلمين في معركة أحد، والتي ظنها هؤلاء الأعراب ضربة قاتلة.

فقد طمع هؤلاء الأعراب الوثنيون في المسلمين، وأخذ كل منهم يفكر في ضربهم ويُعد العدة للإغارة عليهم وانتهاب أموالهم ونسائهم وذراريهم. [**غزوة الأحزاب لباشميل ١٧-٢١**].

ويقول د/ الدقس: «بعد ما حل بالمسلمين في أُحد انتقض على الإسلام كثير ممن هادنه أو داهنه، وبرغم مظهر البأس الذي أبداه الرسول القائد ﷺ ورجاله في مطاردة المشركين حتى (حمراء الأسد)، فإن هزيمة أُحد كانت أبعد غوراً مما يظنون.

فقد جرَّأت عليهم أعراب البادية، وفتحت لهم أبواب الأمل في الإغارة على المدينة، وانتهاب خيراتها.

كما أن اليهود عالنوا بسخريتهم، وتركوا وساوس الغش تلح عليهم، وتكدَّر سيرتهم مع المسلمين.

ومن أصعب الأمور قيادة الأمم عقب الهزائم الكبيرة، وقياد الدعوات بعد الانكسارات الخطيرة، وإن كان الرجال يستسهلون الصعب، ويصابرون الأيام حتى يجتازوا الأزمات.

لقد طمعت القبائل العربية المحيطة بالمدينة بالمسلمين، واستخفت بدولتهم، واستهانت بقوتهم، فقد ظنوا أنها لا تقوى على الدفاع عن نفسها من جراء ما أصابها، فاتفقت أعراب الجزيرة من الخارج مع يهود المدينة من الداخل على تقويض دعائم الدولة الإسلامية، واستئصال شأفة المسلمين، وكان أول المغيرين

بنو أسد، ولكن القيادة الإسلامية الساهرة كانت لهم بالمرصاد، فقد أعلمت العيون التي بثها الرسول القائد ﷺ في أنحاء الجزيرة أن طليحة وسلمة ابني خويلد قد ساروا في قومهما، ومن أطاعهما من العرب في حرب رسول الله ﷺ، فدعا ﷺ قائده الهمام (أبا سلمة ﵁ وهو من خير القادة)، في أول شهر المحرم من عام أربع للهجرة وعقد له لواءً، وبعث معه مائة وخمسين رجلًا من المهاجرين والأنصار، وقال: «**سِرْ حَتَّى تَرِدَ أَرْضَ بني أَسَدٍ بنِ خُزَيْمَةَ، فَأَغِرْ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ تَلاقَى عَلَيْكَ جُمُوعُهُمْ**»، فسار أبو سلمة إليهم، وأغار على أنعامهم، ففروا من وجهه فأخذها، ولم يلق كيداً، وعاد سالماً غانماً.

وأعلمت العيون رسول الله ﷺ أن خالد بن سفيان الهذلي طمع في الإغارة على الدولة الإسلامية، وهو يجمع رجاله لغزو المدينة، فأرسل إليه رسول الله ﷺ عبدَ الله بن أنيس ﵁، فقتله.

وقد طمعت هذيل في الدولة الإسلامية، وغدرت ببعثة النبي ﷺ إلى عضل والقارة في السنة الرابعة، وكانوا ستة نفر من خيار القراء.

كما طمعت بنو سليم في الدولة الإسلامية، حيث عَدَتْ على سبعين من خيار الصحابة (القراء) الذين بعثهم النبي ﷺ إلى أهل نجد للدعوة والتعليم، وهكذا ليل المحن الطويل على الدولة الإسلامية، وهي تفقد هذه الأعداد الكبيرة في خلال عام واحد، سبعون في غزوة أُحد، وسبعون من خيرة القراء في (بئر معونة)، وقبلها عشرة (في الرجيع)... إلخ، فكانت محنة قاسية، وابتلاءً عظيمًا، يزلزل الراسيات، ولكن قوة الإيمان، وعزائم الرجال، أقوى وأصلب من الجبال، فقد صبر رسول الله ﷺ وصابر، وتجلد أصحابه ﵃ وتدرعوا بالصبر، وتجرعوا كؤوس الآلام والأحزان، وتظاهروا بالقوة، وتحصنوا بالشجاعة النادرة، ومغالبة الأهوال، ونجح الرسول القائد ﷺ ورجال دولته في تغييب تلك المصائب، وتفويت الفرصة على الأعداء المتربصين من الداخل والخارج.

لقد كانت العيون الساهرة، والأسود الكاسرة تعمل ليل نهار لحماية الدولة، فما تخبر العيون رسول الله ﷺ بتحرك أو مجرد نية التحرك من الأعداء إلا والأسود انقضت على الأعداء، وباغتتهم في عقر دارهم، فكانت خطة القيادة الإسلامية، الحذر والمراقبة والرصد لأخبار الأعداء، والانطلاق السريع، ومباغتة العدو قبل أن يتم استعداده، والقضاء عليه في عقر داره.

لقد بذلت القيادة والدولة الإسلامية جهودًا مضنية في المحافظة على سلامة الدولة، واستمرار الدعوة، ومحاولة استعادة هيبة المسلمين، وتوطيد ما اضطرب من مكانتهم؛ ولذلك كانت تلك المرحلة التي أعقبت (أُحد) مرحلة صراع دموي رهيب بين المسلمين من جانب، وأعداء هذا الدين (من المشركين واليهود والمنافقين) من الجانب الآخر، فالمشركون سال لعابهم، وتحلب ريقهم، وظنوها فرصة

سانحة للإجهاز على ما تبقى من المسلمين بعد (أُحد)، فأراد كل عدو أن يقوم بدورٍ مَا يُحسب له في المستقبل، ويسجله التاريخ، والمسلمون يعملون بكل طاقاتهم لمحو آثار أُحد إلى الأبد، وإعادة بناء الثقة بقوة المسلمين التي اكتسبوها في بدر والسرايا والغزوات الأخرى، ويحاولون إعادة الهيبة والمكانة التي كانت للدولة الإسلامية.

ونتج عن هذا الصراع العنيف الخسائر البشرية الكثيرة في جانب المسلمين، إذ توالت عليهم المحن والابتلاءات، ولكن هذه البأساء والضراء لم تفقدهم صلتهم بربهم، واطمئنانهم إلى غدهم، وثقتهم بموعود الله، فظلوا صابرين مصابرين، مرابطين، مجاهدين بأموالهم وأنفسهم لا تزلزلهم المحن، بل تدفعهم إلى بذل المزيد؛ لتعويض المفقود.

لقد نجحت الخطة الإسلامية التي رسمتها القيادة العليا في تأديب الأعراب الغادرين الطامعين في الدولة الإسلامية، وألقت في قلوبهم الرعب، بتلك الغزوات الناجحات التي أرسلها رسول الله ﷺ تجوس فيافي نجد، وقفار الجزيرة، ووهادها، فما يكاد يسمع أولئك الأعراب بمقدم جيش رسول الله ﷺ حتى يولوا هاربين متمنعين في رؤوس الجبال تاركين أنعامهم وديارهم غنيمة للمسلمين، وحتى امتدت تلك الرهبة إلى قلوب القرشيين أنفسهم، فقد جربوا مرارة اللقاء مع المسلمين في «بدر»، ولم ينخدعوا بذلك النصر الهزيل في أُحد، بعد ما رأوا من قوة المسلمين في حمراء الأسد، فتخاذلوا عن لقاء الجيش الإسلامي (بدر الآخرة) حسب الموعد المضروب بينهما، فما كادوا يقتربون من مكان الموعد حتى بدا لهم الرجوع، بعدما سمعوا من نفرة الجيش الإسلامي، وحسن استعداده وحماسه، وتأهبه الشديد للقتال، وترقبه لوصول القرشيين منذ ثمانية أيام، فقد أعلن قائد الجيش المكي عن هزيمته النفسية، وانسحابه المخزي قبل اللقاء إذ صاح أبو سفيان بقومه (قائده): **يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا.**

وهكذا تم للدولة الإسلامية استعادة هيبتها وتوطيد أركانها، وفرض احترامها على جنوب الجزيرة، وانتقل زمام المفاجأة إلى المسلمين بعد أن نكصت قريش عن مواجهتهم في (بدر الآخرة).

وهكذا، أثبتت السياسة النبوية الحكيمة قدرتها على مواجهة الأحداث، وتصريف الكروب، وتحويل ريح المسلمين التي ذهبت في (أُحُد) إلى ريح عاصفة تلاحق الطامعين، وترهب المتربصين، وتبث الرعب في قلوب أعداء الدولة والدين في الداخل والخارج، فاستعادت الدولة هيبتها، وفرضت سلطانها على الجزيرة من شمالها إلى جنوبها، وبهذه الغزوات الحاسمة، وهذه الخطط الحازمة، نجحت الدولة الإسلامية في بسط الأمن في ربوع الجزيرة العربية، وتحويل الكفة لصالح الدين والدولة، وتخفيف المتاعب

والمشكلات الداخلية والخارجية، التي توالت، وأحاطت بالمسلمين من كل جانب، فسكت المنافقون، واستكان اليهود، ولاذ الأعراب بالفرار إلى أعالي الجبال، وتخاذلت قريش عن مهاجمة الدولة الإسلامية، بعد تلك الإقدامات والانتصارات التي حققتها القيادة النبوية، وكل هذا فتح الطريق واسعًا أمام نشر الدعوة داخل المدينة وخارجها». [دولة الرسول في المدينة ﷺ من التكوين إلى التمكين للدقس ص ٥٤٥-٥٤٨].

عدد الحملات العسكرية بين أُحُد والأحزاب:

يقول أ/ باشميل: «لقد كانت الحملات العسكرية التي حدثت ما بين معركتي (أُحُد والأحزاب) عشر حملات، كان المسلمون هم البادئين فيها بالهجوم.

ولما كان الأعراب ـ وخاصة أعراب نجد ـ هم أول المفكرين في الإغارة على المسلمين في المدينة وأكثر الناس جرأة، وأسرع إلى التجمع لتنفيذ ما كانوا يفكرون فيه، فإن أكثر الحملات العسكرية التي جردتها المدينة قد وجهت ضد هؤلاء الأعراب.

فقد كانوا هدفًا لست من هذه الحملات العسكرية التي قاد النبي ﷺ بعضها بنفسه.

بينما لم يتعرض اليهود ـ قبل غزوة الأحزاب وبني قريظة ـ إلا لحملة عسكرية واحدة، وهي الحملة التي قام بها المسلمون ضد يهود بني النضير في ضواحي المدينة.

ولعل مما ساعد القيادة في المدينة على ضرب هؤلاء الأعراب والتنكيل بهم في ديارهم ووضع حد لأطماعهم بطريقة حاسمة، هو أنهم لم يكونوا عند تفكيرهم في الإغارة على المدينة جبهة واحدة؛ لأن باعث تفكيرهم للإغارة على المسلمين لم يكن باعثًا عقائديًّا أو سياسيًّا جاء نتيجة مخطط مدروس، وإنما كان باعث ذلك التفكير هو الرغبة في السلب والنهب والسبي فحسب، ثم العودة إلى ديارهم، كما هي العادة المتبعة لديهم في حروبهم منذ عشرات القرون.

فلم يكن هدفهم من الإغارة على المدينة احتلالها والتخلص من المسلمين نهائيًّا كما هو الحال عند اليهود ومشركي مكة الذين كانوا يحاربون المسلمين وفق مخططات عقائدية وسياسية، كما حدث في غزوة الأحزاب التي خطط لها اليهود وحملوا بعض أعراب نجد على الاشتراك فيها عن طريق إغرائهم بالمال.

ولهذا فقد تمكن المسلمون ـ قبل معركة الأحزاب ـ من ضرب هذه القبائل وتشتيتها في مكان تجمعها، كل قبيلة على انفراد في عشر حملات عسكرية قام بها الجيش الإسلامي. [غزوة الأحزاب لباشميل ٢٢-٢٣].

نشاط الاستخبارات النبوية:

ولم تكن الاستخبارات النبوية العسكرية غافلة عن هذا التفكير والتحرك، فقد كان المسلمون يتوقعون أن يقوم الأعراب بتحركات عسكرية سريعة ضد المسلمين، بعد الذي نزل بهم في أحد.

ولذلك فقد نشطت استخبارات المدينة نشاطًا واسعًا في مجال مراقبة هؤلاء الأعراب لتكون على علم مُسبق بأية حركة يعتزم الأعراب القيام بها ضد المدينة، فتنقل هذه الاستخبارات كل ما يجِدُّ بهذا الصدد إلى القيادة العليا في المدينة أولًا بأول.

فصارت القيادة في المدينة على علم تام بأية حركة يعتزم أحد من هؤلاء الأعراب القيام بها ضد المسلمين، وقد ساعد نشاط استخبارات المدينة القيادة فيها على التيقظ والتحرك بسرعة لضرب أية قبيلة تنوي الهجوم على المدينة، وذلك قبل أن تُتم هذه القبيلة الحشد والتجهيز.

فقد سارع النبي ﷺ إلى القيام بعدة تحركات عسكرية هجومية حاسمة وسريعة، قادها بسرعة خاطفة إلى منازل هؤلاء الأعراب، فوضع بها حدًّا لأطماعهم، وألقى بها عليهم دروسًا عملية قاسية، جعلتهم يصححون مفاهيمهم الخاطئة عن مدى قوة المسلمين العسكرية التي ظنوها قد انهارت نتيجة ما أصابهم في ملحمة أحد. [**غزوة الأحزاب لباشميل ٢١-٢٢**].

ويقول د/ بريك: «لقد كان على المسلمين في المدينة أن يواجهوا أعداءهم المتربصين في كل ناحية من نواحي الجزيرة العربية، فمن قريش الموتورين، مرورًا باليهود الخائنين، إلى الأعراب الطامعين في خيرات المدينة، ولكن عين النبي ﷺ لم تكن تغفل عنهم ولو للحظة حيث كان يرصد تحركاتهم، وسكناتهم، ويتحسس أخبارهم عن طريق شبكة منظمة من العيون والجواسيس المبثوثين في مناطق الأعداء، والتي ساهمت بشكل كبير وفعال في وضع النبي ﷺ في الصورة دائمًا، فكان باستمرار يسبق الأحداث، ويفاجئ أعداءه بمبادرة عجيبة تقضي على مخططاتهم العدوانية في مهدها.

[**السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة لبريك ١٥٤**].